الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في الإفتاء

ارصلان بلخير
طالب بسلك الدكتوراه تخصص الدراسات الإسلامية
جامعة محمد الأول بوجدة

مقدمة وإشكالية:

إن الحمد لله تعالى أحمده وأشكره، وأُصلي وأُسلم على النعمة المسداة والرحمة المهداة نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد:

فإن العالم يشهد تطورا متسارعا في تقنيات الذكاء الاصطناعي، مما أتاح إمكانية توظيفه في مجالات متعددة، منها مجال العلوم الشرعية، لذلك يسعى هذا البحث إلى تقديم دراسة علمية متوازنة حول جدوى هذه التقنية وإمكانية دمجها في مجال الفتوى بما يُحقق المصلحة دون الإخلال بثوابت الشريعة الإسلامية.

فهل يمكن لبرنامج الذكاء الاصطناعي الذي صنعه الإنسان أن يستقِلّ بالإجابة عن الفتاوى الشرعية؟

هذا هو محور هذا البحث الذي أراه أحد أهم الأسئلة التي سنواجَه بها خلال السنوات القادمة، ليس الجواب عن هذا بالإيجاب أو النفي سهلا، وإنما يتطلب الجواب عن هذا السؤال إدراكا لمعنى الذكاء الاصطناعي وكيف يعمل؟ وإلى أي مدى يمكن الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في عملية الإفتاء؟ وهل يمكن أن يكون أداة مساعدة أو بديلا جزئيا أو كليا للمفتي؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالذكاء الاصطناعي وبيان أنواعه وقدراته، ثم النظر في مدى إمكان تنزيل شروط وصفات المفتي عليه، وصولا إلى بيان أثر الاعتماد عليه وحدوده في عملية الإفتاء.

أسباب اختيار الموضوع:

في ظِل التطور السريع في مجالات الذكاء الاصطناعي وانغماس الأجيال فيه وتعلقهم به، تَبرزُ الحاجة لرؤية شاملة لقدرات الذكاء الاصطناعي في تعامله مع الأسئلة الدينية وإصداره للفتاوى.

كما أن المفتي في حاجة ماسة إلى أن يكون واعيا بمجال الذكاء الاصطناعي ليستفيد منه في عملية الإفتاء، وهو في حاجة أيضا إلى مواكبة واقع الناس في تعاملهم مع هذه التقنيات، وتوجيههم إلى السبل الشرعية الرشيدة في الإفادة منها وضبط استخدامها، بما يرفع عنهم الحرج، ويصونهم من الانحراف، ويهديهم إلى الموقف الصحيح تجاهها.

منهجية البحث وحدوده:

وللإجابة عن الإشكالات السابقة ارتأيت الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال مراجعة قدرات الذكاء الاصطناعي في مجال الإفتاء وتحليلها من الناحية الشرعية.

يقتصر البحث على دراسة قدرات الذكاء الاصطناعي في مجال الإفتاء، ولا يتناول البحث كل برامج الذكاء الاصطناعي بشكل عام، بل يركز فقط على استخدامه في إصدار الفتوى.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات عديدة تناولت موضوع الذكاء الاصطناعي والفتوى وذكرت بعض أنواعه، لكن الملاحظ في هذه الدراسات أنها تتعرض لبعض أنواع الذكاء الاصطناعي التي ليس لها علاقة بمجال الإفتاء، ودون أن تُبَيِّن فائدة

كل نوع في مجال الإفتاء. فكانت هذه الدراسة فريدة من هذا الجانب، وكما هو معلوم عند أهل الاختصاص أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره. ومن هذه الدراسات:

- ضوابط الفتوى الرقمية في ظل الذكاء الاصطناعي، آمنة مدوخي بن عبيد.

وهو مقال منشور في مجلة جامعة الزيتونة الدولية، تحدث فيه صاحبه عن إمكانية تقنين أخلاقيات وضوابط تضمن عدم التعدي على الإرث الديني والفتوى، ثم عن كيفية حماية المنظومة الدينية من التجفيف والتحريف بسبب الغطرسة الرقمية، وتناول إمكانية مقاضاة الذكاء الاصطناعي في حالة ثبوت التعدي.

- أحكام الاستعانة ببرامج الذكاء الاصطناعي التوليدي في الأبحاث العلمية الشرعية ChatGPT)) أنموذجا، زيزي مصطفى أحمد مصطفى.

في هذا البحث حاول صاحبه أن يقف على المشروع وغير المشروع في استخدامات برنامج الذكاء الاصطناعي التوليدي ChatGPT في الأبحاث العلمية.

- تقنية ChatGPT ودورها في ضبط الفتوى، إيمان محمد المهدي الأطروني.

حاولت صاحبة البحث أن تعطي فكرة عن كيفية الاستخدام الأمثل لتطبيقات الذكاء الاصطناعي. كما اقترحت بعض طرق ضبط الفتوى ومن أهمها توحيد المرجعية والحد من انتشار الفضائيات والمواقع غير المُعتمدة في الفتوى.

- مدى إمكانية توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في الفتوى دراسة تطبيقية، إبراهيم أحمد أبو العدس - شبلي أحمد عيسى عبيدات - وجدان حمدان العبداللات.

تحدث عن أشكال الذكاء الاصطناعي وعن إمكانية توظيفها في خدمة الفتوى، كما ذكر أيضا الإشكالات المتعلقة بالبحث عن الفتوى من خلال أدوات الذكاء الاصطناعي وطُرق علاج هذه الإشكالات.

ومما كُتب أيضا في علاقة الإفتاء بالذكاء الاصطناعي:

- الإفتاء الافتراضي عبر تقنية الذكاء الاصطناعي ، طه أحمد الزيدي.

وهو مؤلف تناول فيه معنى تقنية الذكاء الاصطناعي، ومفهوم الإفتاء الرقمي، أي: إصدار الفتوى عبر تقنيات الذكاء الاصطناعي، والبرامج والمنصات الإلكترونية الخاصة بالإفتاء وحكم اللجوء إليها، كما عرض بعض المواقع الإلكترونية للإفتاء، وبيّن حكم الاعتماد على الفتاوى الصادرة عبر الشبكة العنكبوتية، وحكم الاستفتاء الافتراضي المعتمد على الذكاء الاصطناعي وضوابطه. غير أنّ الكتاب لم يتناول بالدراسة مسألة التعامل مع خلاف العلماء ولا أثر الذكاء الاصطناعي في ذلك.

- استثمار تقنيات الذكاء الاصطناعي في صناعة الفتوى للمؤسسات المالية الإسلامية : دراسة في المفهوم والضوابط والإشكالات إعداد الحسن غمادي، نشر في مجلة بحوث وتطبيقات في المالية الإسلامية.

تكلم البحث عن دور الذكاء الاصطناعي في تطوير الخدمات المصرفية، وفي المبحث الثاني بحث تقنية الذكاء الاصطناعي دعامة أساسية لصناعة الفتوى في المؤسسات المالية الإسلامية، وختم البحث بمبحث سبل استثمار الذكاء الاصطناعي في صناعة الفتوى، والبعد الفقهي والأصولي في البحث محدود.

- الذكاء الاصطناعي وأثره في صناعة الفتوى، عمر بن إبراهيم المحيميد، بحث منشور في مجلة الجمعية الفقهية السعودية، العدد السابع والخمسون.

وقد بين خطوات صناعة الفتوى عن طريق الذكاء الاصطناعي، وبين حكم استخدام الذكاء الاصطناعي في الفتوى، كما وضح أثر الذكاء الاصطناعي في صناعة الفتوى، وقدم بعض النماذج المكتوبة لتطبيقات الذكاء

الاصطناعي في صناعة الفتوى.

- الإفتاء باستخدام الذكاء الاصطناعي حكمه الشرعي وأثره في اختلاف العلماء، مطلق جاسر الجاسر، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية في عدد خاص.

قام بالتأصيل لاستخدام الذكاء الاصطناعي في الإفتاء من الناحية الفقهية والأصولية، وتحدث عن أثر الذكاء الاصطناعي في الموقف من اختلاف الفقهاء، وتحدث عن كيفية الاستفادة من الذكاء الاصطناعي فيه.

بعد استعراض بعض الدراسات السابقة في الموضوع والتي بذَل فيها أصحابها جُهدا مشكورا مقدرا، فإني أستعرض الإضافة العلمية لهذا البحث الموسوم بالاعتماد على الذكاء الاصطناعي في الإفتاء:

هذا البحث دقق في أنواع الذكاء الاصطناعي التي لها علاقة بعملية الإفتاء، ونجد في الدراسات السابقة جردا لأشكال وأنواع الذكاء الاصطناعي تارة وتارة أخرى يقتصر الباحث على تطبيق واحد.

جاء هذا البحث ليدعو إلى تنظيم عملية الإفتاء وضبطها انطلاقا من احترام خصوصية كل بلد وتقاليده، كما دعا المفتي إلى الانفتاح على التطورات المعاصرة المتسارعة في مجال الذكاء الاصطناعي.

المبحث الأول: تعريف الذكاء الاصطناعي وبيان أنواعه وقدراته.

تعريف الذكاء الاصطناعي:

لتعريف "الذكاء الاصطناعي" باعتباره مصطلحا مركبا من مضاف ومضاف إليه، من المفيد أن نعرج على مفهوم "الذكاء" مطلقا ثم نخصصه بالاصطناعي.

الذكاء لغة:

معنى الذكاء لغة: سُرعة الفِطنة، والفعل ذَكِيَ يَذْكَى. و ذَكَا يَذْكُو ذَكَاءً، ويُقال: ذَكَوَ قَلبُه يَذْكُو إِذاَ حَيَّ بَعْدَ بَلادَةٍ[1]؛ أي صار حيّاً بالإيمان وبالمشاعر وبالإحساس، بعد غفلة وجمود وقسوة.

الذكاء اصطلاحا:

قال الأصفهاني الذكاء هو سرعة الإدراك وحدّة الفهم.[2]

وذكر المُناوِيّ أن من معانيه سرعة اقتراح النتائج.[3]

من خلال هذه التعريفات، يمكننا القول أن الذكاء هو قوة عقلية حيّة تمنح صاحبها سرعة في الفهم والإدراك، مع ما يصاحب ذلك من أحاسيس ومشاعر في القلب، وتمكّنُه من الوصول إلى النتائج الحكيمة والمفيدة في أقصر زمن وبأوجز سبيل.

الصناعة لغة:

قال ابن فارس: "الصاد والنون والعين أصل صحيح واحد، وهو عمل الشيء"[4]، ومنه قول الله عز وجل: "صُنع

1- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي. معجم مقاييس اللغة. المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج2، ص 358. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي. لسان العرب. دار صادر ، بيروت،الطبعة الثالثة ، 1414 هـ ، ج 14، ص287.

2-الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ، ص330.

3-المناوي ، عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، المحقق: د عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة - مصر الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1990 م، ص171.

4- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة.ج 3، ص313.

الله الذي أتقن كلَّ شيء".

وقال ابن منظور معناه الاختيار والاتخاذ[1]؛ ومنه قول الله عز وجل: "واصطنعتك لنفسي"؛ أي جعلتك موضع الصنيعة ومقر الإكمال والإحسان ، وأخلصتك بالألطاف واخترتك لمحبتي يقال اصطنع فلان فلانا اتخذه صنيعة وهو افتعال من الصنع وهو الإحسان إلى الشخص حتى يضاف إليه فيقال هذا صنيع فلان [2].

الصناعة اصطلاحا:

يختلف اصطلاح الصناعة باختلاف مجالاته؛ فهناك صناعة أهل الحِرَفِ وهناك صناعة أهل اللغة وهناك صناعة الآلات وكذلك هناك الصناعة الرقمية والحواسيب والتي يندرج تحتها الذكاء الاصطناعي، وهو المقصود في هذا البحث.

والاصطناعي اسم منسوب إلى اصطناع فهو ما كان مصنوعا غير طبيعيا.[3]

ومما سبق نخلص إلى أن الذكاء الاصطناعي في مجال الرقمنة والحاسوب هو نَمذجة وظيفية للذكاء الإنساني، يتم عبر تطوير برامج حاسوبية قادرة على تمثيل سرعة الإدراك وحِدَّة الفهم وكفاءة اقتراح النتائج.

المبحث الثاني: أشهر أنواع الذكاء الاصطناعي وقدرات كل نوع:

المقصود من قدراته هي قدرات كل نوع من الذكاء الاصطناعي على دعم عملية الإفتاء من الجوانب التقنية والتنظيمية. ولبيان ذلك سنقف مع أهم الأنواع التي يمكنها دعم هذه العملية:

1. **التعلم الآلي** (Machine Learning)

هو أحد فروع الذكاء الاصطناعي (AI) التي تهتم بتصميم وتطوير خوارزميات وتقنيات تسمح لأجهزة الحاسب الآلي بامتلاك خاصية "التعلم"، والتطبيقات البرمجية تصبح أكثر دقة في تنبؤ النتائج دون القيام ببرمجتها بشكل صريح[4].

قدراته:

يمتلك خاصية التعلم التلقائي ، من خلال بناء خوارزميات بإمكانها استقبال بيانات مُدخَلة، واستخدام التحليل الإحصائي لتنبؤ مُخرجات ضمن نطاق مقبول.[5]

القدرة على التنبؤ بالحالات المستقبلية واكتشاف الدوافع الخفية والتصنيف المعقد.

على اساس الخبرة والتأقلم المستمر تحتاج الى كم كبير من البيانات لكي تصبح فعالة.

قوية جدا وفعالة الى حد كبير عندما تتوفر على بيانات مكثفة و صحيحة و هذا ما يفسر عودة استعمال التعلم الالي بقوة مع ظهور البيانات الضخمة.

بعض التطبيقات الميدانية التي استعمل فيه أنظمة التسيير الاقتصادي والاستراتيجي و الانظمة المؤتمتة في

1- ابن منظور، لسان العرب. 8ج، ص209.

2- بن يوسف، محمد الشهير بأبي حيان الأندلسي. البحر المحيط. بعناية: صدقي محمد جميل العطار (جـ 1 و 10) - زهير جعيد (جـ 2 إلى7) - عرفان العشا حسّونة (جـ 8 إلى 10) الناشر: دار الفكر - بيروت عام النشر: 1420 هـ - 2000 م،ج 7، ص334.

3- عمر، أحمد. معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب، الطبعة الأولى،1429ه/2008م.ج 2، ص1323- 1324.

4- عبد الله ،موسى. وحبيب بلال، أحمد. الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر، الطبعة الأولى القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر 2019، ص24.

5- نفس المرجع السابق، ص25.

التصنيع[1].

الفوائد المتوقعة في مجال الإفتاء:

يمكن أن يُسهِم هذا النوع من الذكاء الاصطناعي القائم على التعلُّم الآلي في الارتقاء بآليات عرض الفتوى الشرعية؛ فيتولى أولا استقبال أسئلة المستفتين، ثم يعمد إلى تحليلها عبر كلمات مفتاحية، ليُوجّه السائل بعد ذلك إلى الجهة العلمية أو المفتي المتخصّص في موضوع مسألته، وبذلك يضطلع بوظيفة الاستقبال والإحالة معا.

2. **التعلم العميق** (Deep Learning)

هو شكل من أشكال الذكاء الاصطناعي مستمد من التعلم الآلي، يرتكز على مجموعة من الخوارزميات تشمل عدة تقنيات كالشبكات العصبية الاصطناعية والتي تحاكي الخلايا العصبية في جسم الإنسان. استوحت الشبكات العصبية الاصطناعية مبدأها من خلال طريقة عمل الدماغ البشري فهي تتكون من عدة خلايا عصبية اصطناعية مرتبطة ببعضها البعض، كلما زاد عددها كلما كانت الشبكة أعمق[2].

للتعلم العميق نفس ما للتعلم الآلي من الفوائد المتوقعة في مجال الإفتاء.

3. **معالجة اللغة الطبيعية** (NLP)

يختص بتطوير أساليب متقدمة يمكن من خلالها تسهيل عملية تواصل وتعامل الآلات مع اللغات البشرية مثل اللغة الإنجليزية بما يشمل الترجمة والتعرف على النصوص وتحليل محتواها وما تشير إليه من مشاعر إنسانية.[3]

قدراته:

ينطلق من الفهم المعنوي والدلالي للغة، على أساس الانطولوجيا والقواميس الديناميكية، وهو مرتبط بتطورات اللغة، ومن سلبياته أنه يواجه صعوبة تفرع اللغات ثقافيا[4].

يفهم لغة السائل إلى حد كبير (حتى لو كانت عامية) ويحولها إلى صيغة علمية واضحة، ثم يستخرج الكلمات المفتاحية ويربطها بالموضوعات المناسبة.

الفوائد المتوقعة في مجال الإفتاء:

يمكن أن يقوم بتلخيص الفتاوى الطويلة أو يعيد صياغتها بأسلوب مبسط للمستفتي.

و يمكن أن يعمل وسيطا تقنيّاً بين المستفتي والمفتي. ويسهل الأرشفة الذكية والبحث النصي في كتب الفقه ودوائر الإفتاء.

4. **الذكاء الاصطناعي التوليدي** (Generative AI)

هو نوع من أنواع الذكاء الاصطناعي لكنه أحدثها، وأكثرها تطوراً وانتشاراً ، فهو نوع من تقنيات التعلم الآلي لديه القدرة على إنشاء بيانات جديدة، مثل الصور والنصوص والمقاطع الصوتية بناءً على تدريب الإنسان لهذه التقنية، كما يمكن استخدامه في ابتكار المساعد الافتراضي للمحادثات الإلكترونية وخدمة المتعاملين، أو إنشاء

1-شهبي، سامية. و باي، محمد. وكروش، حيزية. الذكاء الاصطناعي بين الواقع والمأمول دراسة تقنية وميدانية، ص10.

2- عبد الله، موسى. وحبيب بلال، أحمد. الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر، ص25.

3- أبو النجا الشرقاوي، ماجد - "الأبعاد الاقتصادية للذكاء الاصطناعي تقييم جاهزية الاقتصاد المصري"- مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية - المجلد1، العدد 9، تاريخ مارس 2023، ص296.

4- نفس المرجع السابق، ص10.

الموسيقى والمحتوى الفني لأهداف تسويقية أو إبداعية وغيرها.[1]

قدراته:

إنشاء ملخصات، مقارنات، أو جداول تلخيصية لآراء متعددة.

صياغة ردود مبدئية بأسلوب لغوي مناسب.

الفوائد المتوقعة في مجال الإفتاء:

دعم الصياغة التنظيمية للفتوى (اللغة، الترتيب، التبويب).

توفير أدوات مساعدة للمفتي لتوضيح جوابه بصور أو مخططات توضيحية.

خلاصة:

يمكن القول إن قدرات الذكاء الاصطناعي تكمن في جمع المعلومات الهائلة وتصنيفها وتحليلها، وتصنيف الأسئلة وتحليلها، كما له القدرة أيضا على معالجة اللغة وتوليد النصوص وتبسيط المفاهيم واقتراح الأجوبة، وأدوار أخرى تتزايد مع كل تحديث له. فهل يعني هذا أنه يمكن أن يحُلَّ محل المُفتي ويستقل بعملية الإفتاء؟ أم أن دور المفتي أصبح أكثر أهمية وأصبح في حاجة إلى مزيد الاهتمام بمجال الذكاء الاصطناعي ليكون واعيا بمستجداته وواقعه؟ وهل ستبقى مؤسسات الإفتاء مرجعا موثوقا في ظِلِّ انتشار برامج الذكاء الاصطناعي التي تقدم إجابات مُقنعة عن أسئلة المستفتين توهمهم بموثوقيتها؟.

وتجدر الإشارة إلى أن التطبيقات المعاصرة المنتشرة في مجال الدردشة والمحادثات، مثل ChatGPT و DeepSeek ... وغيرهما تنتمي كلها إلى الأنواع المذكورة أعلاه.

المبحث الثالث: الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في عملية الإفتاء

شروط وصفات المفتي:

ذكر العلماء قديما وحديثا شروطا وصفات عديدة للمفتي، نقتصر على أهم الشروط والصفات التي تكررت عند أغلبهم واتفقوا عليها.

قال ابن الصلاح: "أما شروط وصفات المفتي فهو أَن يكون مُكَلّفا مُسلما ثِقَة ماَمُونا منزها من أَسبابَ الفسق ومسقطات المُرُوءَة، لِأَن من لم يكن كَذَلِك فَقَوله غير صالَح للإعتماد واَن كانَ من أهل الإجتهاد وَيكون فَقِيه النَّفس سليم الذِّهْن رصين الفِكر صَحِيح التَّصَرُّف والإستنباط متيقظا".[2]

وقال الجويني: "وَمِن شَرْط المُفتِي أن يكون عالَما بالفقه أصلا وفرعا خلافا ومذهبا وأن يكون كامل الأدلة في الاجتهاد عارفا بما يحتاج إليه في استنباط الأحكام وتفسير الآيات الواردة في الأحكام والأخبار الواردة فيها".[3]

وذكر الإمام الشاطبي في معرض حديثه عمن اجتمعت فيه شروط الانتصاب للفتوى أن من كان منهم في أفعاله وأقواله وأحواله عند مقتضى فتواه؛ فهو متصف بأوصاف العلم، قائم معه مقام الامتثال التام؛ حتى إذا أحببت

1- سلطان العلما، عمر. 100 تطبيق واستخدام عملي للذكاء الاصطناعي التوليدي. مكتب وزير دولة الذكاء الاصطناعي والاقتصاد الرقمي وتطبيقات العمل عن بعد الإمارات العربية المتحدة، أبريل 2023م. ص 3.

2- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح . فتاوى ابن الصلاح. المحقق: موفق عبد الله عبد القادر. الناشر: مكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب - بيروت. الطبعة الأولى، 1407.ج 1، ص21.

3- أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين. الورقات. المحقق: د. عبد اللطيف محمد العبد. ص29.

الاقتداء به من غير سؤال أغناك عن السؤال في كثير من الأعمال، كما كان رسول الله عليه وسلم يؤخذ العلم من قوله وفعله وإقراره. ثم قال: فهذا القسم إذا وجد؛ فهو أولى ممن ليس كذلك".[1]

فيكون المفتي الذي جمع كل هذه الشروط والصفات مأجورا في اجتهاده، وإن أخطأ فيه؛ وذلك لقول النبي عليه الصلاة والسلام: " إذا حَكَمَ الحاكِمُ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أصابَ فَلَهُ أجْران، وإذا حَكَمَ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أخْطأ فَلَهُ أجْرٌ".[2]

مراعاة مؤسسات الإفتاء الرسمية والمذاهب المعتمدة في كل بلد:

لا شك أن تعدد وغنى المرجعية الفقهية إنما يلتقي عند مقصد واحد وغاية جامعة، هي التيسير على المسلمين ورفع الضيق والحرج والمشقة عنهم. وهذا التعدد إنما نشأ عن تباين البيئات الجغرافية والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في أقطار العالم الإسلامي، حيث لكل بلد مذهبه الفقهي والعقدي الذي ينبغي الانضواء تحته صونا للمجتمع من الفتنة والطائفية، وتوطيدا للوحدة الوطنية وحفاظا على خصوصياته.

وإذا تأملنا الفتاوى التي تُبث عبر الفضائيات ومنصات التواصل، وجدنا أن أغلبها لا يراعي مذهب المستفتي ولا ينزل عند اعتباره، بل ينحاز في الغالب إلى المدرسة الفقهية التي ينتمي إليها المفتي، من غير وعي كاف أو تصور دقيق لواقع السائل وظروفه، ولا لمواطن اختلافه أو اتفاقه مع بيئة المفتي وملابساته.

وبالتالي تكون الفتوى مراعية لواقع المفتي لا واقع المستفتي. وهكذا لا تستقيم عملية الفتوى. إذ لا بد من مراعاة خصوصيات البلد وعاداته وتقاليده وأعرافه في عملية الإفتاء.

وهذا الفعل قد ينتج عنه إضلال الناس وإسقاطهم في الحرج، وقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: " إنَّ اللَّهَ لا يَقْبِضُ العِلمَ انْتِزاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبادِ، ولَكِنْ يَقْبِضُ العِلمَ بقَبْضِ العُلَماءِ، حتَّى إذا لَمْ يُبْقِ عالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جُهّالاً، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغيرِ عِلمٍ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا".[3] ففي هذا الحديث التحذير الشديد من إضلال الناس.

المبحث الرابع: أثر الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في الفتوى

إن توظيف الذكاء الاصطناعي في مجال الإفتاء ينطوي على إيجابيات وسلبيات، غير أن إيجابياته تتضح أكثر للعامة؛ إذ يتيح للمستفتي معلومات وافية مقنعة توهم المتلقي بموثوقيتها، ويمكنه من الاطلاع على مصنفات الفتاوى والمذاهب الفقهية، ومعرفة مواضع الاتفاق والاختلاف بينها، فضلا عن الوقوف على الأحكام والضوابط التي قررها الفقهاء. فهو بمثابة مائدة معرفية غنية بالمعطيات والمراجع الدينية، تسهل عملية البحث وتسرع التصفح وتزيد من فرص التعلم. ومع ذلك كله، فإن هذه الوظائف وإن عظمت لا ترقى بالذكاء الاصطناعي إلى مقام الإفتاء نفسه. بل ولا تخلوا من مخاطر وتحريفات لا يعرفها إلا أهل الاختصاص.

والاعتماد على الذكاء الاصطناعي في عملية الإفتاء نوعان، اعتماد كلي واعتماد جزئي:

الاعتماد الكلي:

انطلاقا من شروط المفتي وصفاته نجد أن أغلبها لا تنطبق على برامج الذكاء الاصطناعي؛ كون الذكاء

1- أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي. الموافقات. المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الناشر: دار ابن عفان الطبعة الأولى، 1417 هـ - 1997 م.ج 5، ص299.

2- أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي. صحيح البخاري. تحقيق: جماعة من العلماء. الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311 هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني. ج9، ص108، رقم الحديث 7352.

3- نفس المصدر السابق ،ج 1،ص31، رقم الحديث 100.

الاصطناعي غير مُكلَّف ولا يمكن أن تنطبق عليه صفات التقوى والورع والزهد ...

فالذكاء الاصطناعي يظل أسيرا لجوهره الآلي، ولا يستطيع أن يتحول إلى الطبيعة الإنسانية ولا أن يبلغ البعد الفكري الذي اختص الله به الإنسان وفضله به على سائر المخلوقات.

كما لا يمكن أن يُقال عنه ما يُقال على المُفتي في ثبوت الأجر في حالة ما إذا أخطأ. لأنه ليس مُكلَّفا ابتداء.

أضف إلى هذا احتمال تعرض برامج الذكاء الاصطناعي للقرصنة والاختراق، ما قد يؤدي إلى التلاعب في إصدار الفتاوى وتزويرها، وهذا أخطر شيء.

الاعتماد الجزئي:

وأقصد هنا اعتماد المفتي أو مؤسسة الإفتاء على الذكاء الاصطناعي، أما المُستفتي فيجب عليه أن يتوجه إلى هذه المؤسسات التي في بلده لتوجيه أسئلته الدينية، ولا يجوز له الاعتماد على الذكاء الاصطناعي في الفتوى.

يتيح الذكاء الاصطناعي لمن يشغل منصب الإفتاء الاطلاع على الكتب والمراجع الدينية باستفاضة، ويوفر له المعلومات الدقيقة، ولا يمكن للذكاء الاصطناعي أن يأخذ دور المفتي استقلالا، فهذه منزلة لا تتم إلا لمن سلك مدارج الاجتهاد واتصف بصفات المجتهدين من المُكلفين.

تسهم برامج الذكاء الاصطناعي في تسريع جمع المعلومات وتسهيل الوصول إليها، مما ييسر التواصل بين المفتي والسائل، وتساعد على الترجمة من اللغة العربية إلى سائر اللغات الأجنبية لتعم الفائدة المسلمين من العرب وغيرهم. غير أنها على ما فيها من مزايا في سرعة البحث وسهولة الاطلاع، تظل عاجزة عن أداء وظيفة الإفتاء؛ فالإفتاء يحتاج إلى عقل بشري مدرب، يُمحص النصوص ويحللها وينزلها على الوقائع بعد فهم دقيق لملابسات المستفتي وظروفه. ويزداد هذا الأمر وضوحا في القضايا المعقدة التي لا تُحسم إلا بالحوار والاستفسار وتفصيل الحدث كما هو واقعا، مثل مسائل الطلاق والمعاملات المالية، إذ يتوقف الحكم الشرعي فيها إما على الإباحة رفعا للحرج والمشقة، أو على المنع سدا للذرائع وصونا لمقاصد الشريعة.

خاتمة:

وفي الختام نذكر أهم نتائج هذا البحث:

- قدرات الذكاء الاصطناعي: تتجلى في جمع كم هائل من المعلومات، وفرزها وتحليلها، وتصنيف الأسئلة ومعالجتها، فضلا عن إمكاناته في معالجة اللغة الطبيعية، وتوليد النصوص، وتبسيط المفاهيم، واقتراح الإجابات، وهي قدرات تتطور مع كل تحديث جديد.
- الخدمات التي يقدمها الذكاء الاصطناعي للمفتي: يوفر الذكاء الاصطناعي للمفتي سرعة في جمع المعلومات التي يحتاجها، ويُسهل عليه الوصول إليها، كما يُيسر سبل التواصل بين المفتين والمستفتين.
- حدود الذكاء الاصطناعي: يظل الذكاء الاصطناعي مقيدا بطبيعته الآلية، فلا يستطيع أن يرقى إلى الطبيعة الإنسانية ولا أن يبلغ البعد الفكري الذي اختص الله به الإنسان وفضّله به على سائر المخلوقات.
- غياب التكليف الشرعي عن الذكاء الاصطناعي: لا يُلحق الذكاء الاصطناعي بالمفتي من حيث الأجر أو الوزر في حال الإصابة أو الخطأ، لأنه ليس مُكلَّفا ابتداء. وأولى من ذلك أن لا يُلحق به في الاستقلال بعملية الإفتاء.
- مخاطر الاستخدام: من أبرز سلبياته إمكان تعرّضه للقرصنة والاختراق، مما قد يفضي إلى التلاعب بالفتاوى وتزويرها، وهو خطر جسيم.

- حكم اعتماد المُستفتي على الذكاء الاصطناعي: لا يجوز للمستفتي أن يعتمد على الذكاء الاصطناعي في الفتوى أو يعمل بما يُنتجه من أجوبة، إلا بعد التثبّت من مفتي توفرت فيه شروط الإفتاء، أو مراجعة مؤسسة الإفتاء الرسمية في بلده.

التوصيات:

إن التطور السريع في مجال الذكاء الاصطناعي والتحديات العميقة التي تَنتُج عن هذا التطور، تستدعي من المُفتي ومؤسسات الإفتاء الرسمية تركيزا ووعيا بالمهمة الجديدة، وتستوجب عليهم تحصين عملية الإفتاء وحمايتها من الرخاوة والتصدع وترسيخ الثوابت الدينية والهوية الوطنية. أولا على المفتي أن يقوم بدوره الفعال وهو مواكبة التطورات المعاصرة ومعرفته بتقنيات الذكاء الاصطناعي. وثانيا على الهيئات والمؤسسات المعنية في الإفتاء أن تستشعر بمسؤولية الانتقال إلى عصر الذكاء الاصطناعي بوعي مَرِنٍ واستعدادٍ مؤسسي لتفادي المخاطر المتوقعة، بالاستعانة أولا بأهل الاختصاص في مجال الذكاء الاصطناعي وبناء قواعد بيانات آمنة وموثوقة تُشَكِّل الأساس العلمي للفتاوى في البلد، وتكون صِمام الأمان وسدّاً أمينا لدين المواطن ووطنه، ويكون الذكاء الاصطناعي وسيلة ومساعدا في التصور والتكييف والدراسة والتواصل السهل بين المُفتي والمستفتين، لا مباشرتهم بالإجابة.

إن الإقبال الشديد من الناشئة والشباب على تقنيات الذكاء الاصطناعي الحديثة وتعلقهم بها يُلَوِّح بمخاطر قد تنتج عن الفتاوى العشوائية غير المُحصنة، من بينها التطرف والإلحاد ... ويجب مواجهة ذلك عبر عقد مؤتمرات وندوات توعوية بمخاطر الاستعمال العشوائي للذكاء الاصطناعي في مجال الإفتاء، سواء لفائدة المواطنين المغاربة داخل التراب الوطني أو الجالية المقيمة بالخارج.

وهذا يلقي على عاتق المفتي ومؤسسات الإفتاء الرسمية مسؤولية الانتقال إلى عصر الذكاء الاصطناعي بوعي واستعداد لتوَقِّي مخاطره المتوقعة في المُستقبل.

لائحة المصادر والمراجع:

- أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين. الورقات. المحقق: د. عبد اللطيف محمد العبد.
- أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي. الموافقات. المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. الناشر: دار ابن عفان الطبعة الأولى،1417هـ - 1997م.
- أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي. صحيح البخاري. تحقيق: جماعة من العلماء. الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، 1311 هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني.
- أبو النجا الشرقاوي، ماجد - "الأبعاد الاقتصادية للذكاء الاصطناعي تقييم جاهزية الاقتصاد المصري"- مجلة الدراسات القانونية والاقتصادية - المجلد1، العدد 9، تاريخ مارس 2023.
- ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن أبو عمرو تقي الدين المعروف بابن الصلاح . فتاوى ابن الصلاح. المحقق: موفق عبد الله عبد القادر. الناشر: مكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب - بيروت. الطبعة الأولى، 1407هـ.
- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرازي. معجم مقاييس اللغة. المحقق: عبد السلام محمد هارون. الناشر: دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي. لسان العرب. دار صادر ، بيروت،الطبعة الثالثة ، 1414 هـ.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، المفردات في غريب القرآن، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة الأولى - 1412 هـ.
- المناوي، عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، المحقق: د عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة - مصر الطبعة الأولى، 1410 هـ - 1990م.
- بن يوسف، محمد، الشهير بأبي حيان الأندلسي. البحر المحيط. بعناية: صدقي محمد جميل العطار (ج 1 و 10) - زهير جعيد (ج 2 إلى 7) - عرفان العشا حسّونة (ج 8 إلى 10) الناشر: دار الفكر - بيروت عام النشر: 1420 هـ - 2000 م.
- سلطان العلماء، عمر. 100 تطبيق واستخدام عملي للذكاء الاصطناعي التوليدي. مكتب وزير دولة الذكاء الاصطناعي والاقتصاد الرقمي وتطبيقات العمل عن بعد الإمارات العربية المتحدة، أبريل 2023م.
- عمر، أحمد. معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب، الطبعة الأولى 1429هـ /2008م.
- عبد الله ،موسى. وحبيب بلال، أحمد. الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر، الطبعة الأولى القاهرة، المجموعة العربية للتدريب والنشر 2019.
- شهبي، سامية. وباي، محمد. وكروش، حيزية. الذكاء الاصطناعي بين الواقع والمأمول دراسة تقنية وميدانية.